



دراسة لعناصر الإبداع المعماري في تصميم مفردات العمارة الإسلامية بقصر الحمراء بالأندلس (مملكة بني الأحمر)

Received 22 September 2021; Revised 2 February 2022; Accepted 2 February 2022

الملخص

يعتبر قصر الحمراء هو قمة الإبداع المعماري للعمارة الإسلامية في الأندلس حيث كان من نتائج تفكك الدولة الإسلامية في الأندلس نتيجة لظهور دويلات الطوائف وامتداد خطر الزحف المسيحي على الممالك الأندلسية وسقوط العديد منها مما أدى إلى هجرة العديد من المعماريين والفنانين الإسلاميين من جميع الممالك الإسلامية التي سقطت أمام الغزو الإسباني إلى مملكة غرناطة والتي استمرت وبقت لفترة طويلة تحت حكم بني الأحمر والذين أنشأوا حضارة إسلامية تشهد عليها جدران قصر الحمراء والتي قام بتشييدها السلاطين المتتاليين لبني الأحمر.

فدراسة عناصر الإبداع في تصميم مفردات العمارة الإسلامية بقصر الحمراء تستهدف، استخلاص قيم معمارية من العمارة الأندلسية بقصر الحمراء التي تطورت تحت ظروف خاصة في أوروبا وحيث فرضت عليها الظروف الجغرافية والحضارية تأثيراً وتأثراً بما حولها واستخلاص هذه القيم ليساهم في بناء منهج ومفهوم حقيقي للعمارة الإسلامية المعاصرة. كذلك إزالة الصورة الزائفة التي طالما قدمت بها العمارة الإسلامية بوجه عام على أنها عمارة المهارات الحرفية المتقنة دون أن يكون من ورائها أفكار فلسفية، أو وظيفية، أو عملية، أو اجتماعية إلى غير ذلك من العوامل المؤثرة على العمل المعماري الناجح. بالإضافة إلى الخروج برويه معمارية جديدة معاصرة تواكب الاتجاه العالمي المتزايد والتعمق في عمارة الماضي التي ثبت ثراؤها بالمقومات والقيم التي تفيد الباحثين في العمارة الإسلامية الآن.

د. نادر إبراهيم اسماعيل¹

الكلمات الرئيسية

الإبداع المعماري – قصر الحمراء
– العمارة الإسلامية بالأندلس

١. المقدمة

يتناول البحث دراسة لمفردات الإبداع المعماري في تصميم قصر الحمراء وتتبع عناصر الإبداع المعماري في تصميم وتنفيذ قصر الحمراء ودراسة للقاعات والأبهاء والأبراج داخل الحمراء بالإضافة إلى دراسة النقوش التي تحكى حضارة الأندلس والتي أبدعها الفنان الأندلسي على جدران الحمراء وهي الباقية حتى عصرنا الحالي شاهدة على عظمة الحضارة الإسلامية في الأندلس.

¹ مدرس بقسم العمارة والتخطيط العمراني - كلية الهندسة - جامعة قناة السويس

الطرح الرئيسي للبحث هو دراسة لعناصر الإبداع المعماري المتبعة في تصميم وإنشاء قصر الحمراء بمملكة غرناطة بالأندلس. حيث يتناول البحث:

- دراسة عناصر الإبداع المادي من الفكر الإنشائي المستخدم في إنشاء القصر والمواد البنائية المستخدمة بالإضافة إلى دراسة للإبداع المادي والحسي المستخدم في تصميم الفراغات داخل القصر.
- الإبداع المادي من خلال استخدام عنصر المياه في القصر وكيفية استخدام عنصر المياه في الربط بين الفراغ الداخلي والخارجي واستخدام المياه في الأغراض المعيشية داخل الحمراء.
- دراسة للوحدات المديولية المستخدمة في تصميم قصر الحمراء.
- دراسة للإبداع الفني المتمثل في العناصر الزخرفية والقيم الجمالية والفنية لنقوش جدران الحمراء بالإضافة إلى دراسة للألوان والقيم الفنية والجمالية.
- دراسة للإبداع الفكري متمثلة في دراسة وصفية لتصميم القاعات والأبهاء والأبراج في قصر الحمراء.

١-١ منهج البحث

يعتمد منهج البحث المقترح لتناول المشكلة البحثية على الاستدلال الاستقرائي من خلال جمع مجموعة من المعلومات والبيانات يستنتج منها مجموعة من الحقائق من خلال الدراسة النظرية. بهدف وضع قاعدة تتمثل في تحديد عناصر الإبداع المعماري ثم تطبيق عناصر الإبداع على قصر الحمراء لتتبع عناصر الإبداع المستخدمة في تصميم القصر ودراسة القيم الفنية والجمالية للعمارة العربية الإسلامية في الأندلس.

٢-١ الدراسة النظرية تستهدف

- دراسة لتطور الفكر المعماري بالأندلس قبل عصر بنى نصر وحتى إنشاء مملكة غرناطة.
- دراسة لعناصر الإبداع المعماري.
- دراسة لتطور قصر الحمراء منذ بدء عهد بنى نصر من مجرد قسبة دفاعية إلى مجموعة من القصور الشامخة ما تزال شاهدة على عظمة الإبداع المعماري للعمارة الإسلامية في الأندلس.

٣-١ الدراسة التطبيقية تستهدف

- تطبيق عناصر الإبداع المعماري على قصر الحمراء لتوضيح مفردات الإبداع الفني والقيم الجمالية وعناصر الإبداع الفكري والمادي والقيم الحسية والجمالية المتبعة في تصميم فراغات الحمراء.

٤-١ محددات الدراسة

تم وضع مجموعة من المحددات الخاصة بالدراسة وذلك بهدف تسهيل تحقيق الأهداف والوصول للنتائج المرجوة من البحث:

■ لماذا؟

تم اختيار هذا المشكل البحثي لتعريف الباحث بعناصر الإبداع المعماري المتبعة في تصميم قصر الحمراء بالأندلس وذلك بهدف دراسة للقيم الجمالية والحسية التي وصلت إليه الحضارة الإسلامية في الأندلس للاستفادة من هذا البحث في دراسة جانب من التاريخ الإسلامي القديم ولتوضيح مدى ما وصلت إليه العمارة الإسلامية من إبداع فكانت رائدة في أوروبا يقتبس منها عكس واقعنا الآن من الاعتماد على الاقتباس من الحضارات الأوربية في تصميماتنا الحالية فالعمارة الأندلسية راعت البعد الثقافي والاجتماعي والديني ووضعتهم في قالب معماري مميز راعى الجوانب التكنولوجية المتقدمة والمتاحة في ذلك العصر.

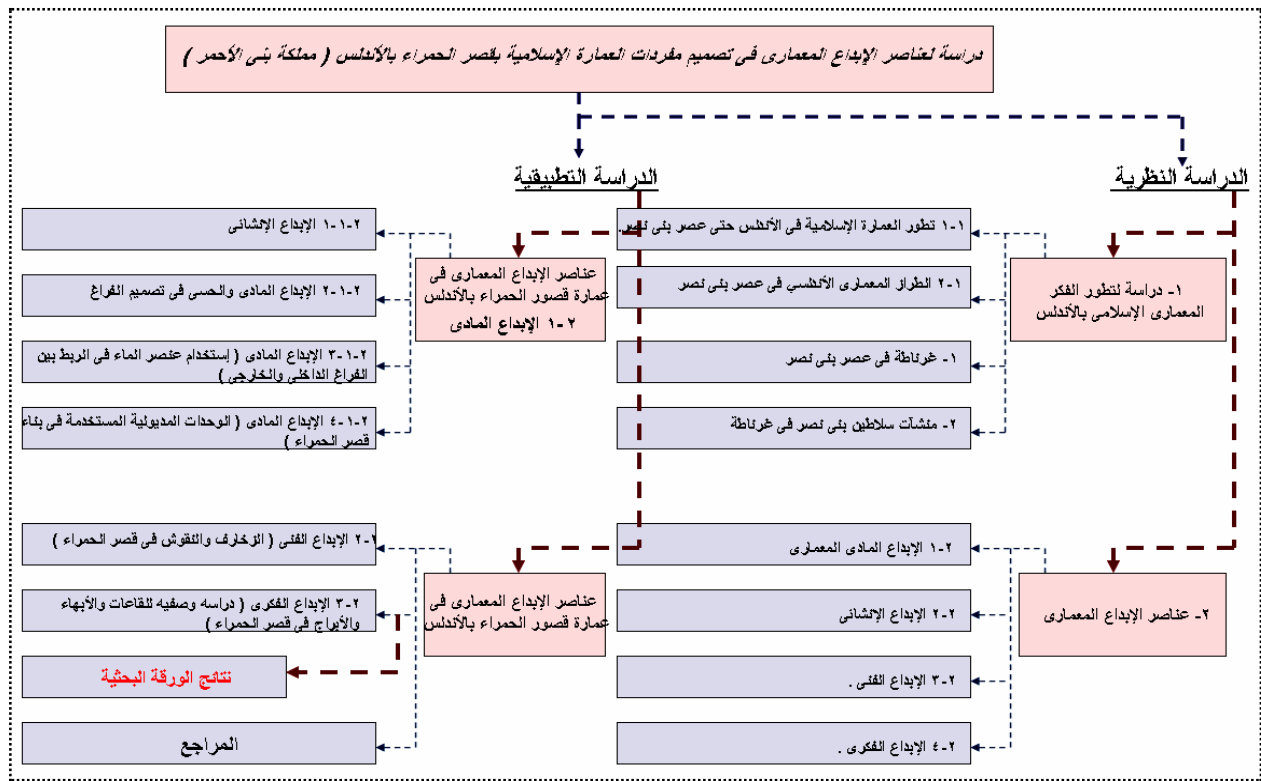
■ كيف؟

- تم جمع البيانات والمعلومات الخاصة بالبحث من المصادر التالية.
1. شبكة الإنترنت.
 2. المراجع العربية والأجنبية المتخصصة في مجال البحث.
 3. الرسائل العلمية التي تناولت عمارة الأندلس.

■ متى؟ المحدد الزمني

الدراسة تتناول قصر الحمراء بمملكة غرناطة والذي أنشأ في عهد بني نصر وهو بداية حكم بني الأحمر للمملكة غرناطة بعد سقوط الدولة الأموية من عام ١٢٣٠ م وحتى عام ١٤٩٢ م.

٥-١ هيكل البحث



٢. دراسة لتطور الفكر المعماري الإسلامي بالأندلس (الدراسة النظرية).

١-٢ تطور العمارة الإسلامية في الأندلس حتى عصر بني نصر

أولاً: الطراز المعماري الأندلسي قبل عصر بني نصر

ترجع أصول العمارة الإسلامية في الأندلس إلى عصر الدولة الأموية فما كاد عبد الرحمن بن معاوية الداخل يظفر بإمارة الأندلس، ويستقيم أمره بها حتى شرع في تجديد ما طمس لبنى أمية في المشرق من بهاء الخلافة وعظمتها، فبنى المسجد الجامع وقصر الإمارة بقرطبة، وكان يحن دائماً إلى دمشق مسقط راسه فأقام مدينة الرصافة شمالي غربي قرطبة وبنى

بها قصرأ رائعاً أحاطه بالجنان والبساتين وأقام بقرطبة قصر دمشق وأبدع في عمارته ليقلد به قصور أجداده بالمشرق (٢) شكل (١-٢).

وفى عصر الخلافة الأموية أحاط خلفاء بنى أمية وأمرأؤهم دولتهم بكل مظاهر العظمة والفخامة، وكانوا ببناء عظاماً، فجملوا عاصمتهم وعمروها بالأبنية الجليلة التي تعتبر أروع ما جاد به الفن الأندلسي، عندما تولى الامير عبد الرحمن بن محمد إماره الأندلس بنى مدينة الزهراء شكل (٢-٢)، وشيد بها روائع القصور والقاعات والمجالس التي أطنب في وصفها المؤرخون، وكانت أسقف هذه القصور من القراميد المذهبة، وأعمدتها من الرخام والمرمر، وجدرانها مكسوة بروائع الزخارف الرخامية والجصية ومنزلة بالفسيفساء (٣).



شكل (٢-٢): حفائر مدينة الزهراء (ما تبقى من آثار مدينة الزهراء عاصمة الخلافة الأموية)

شكل (١-٢): المسجد الجامع بقرطبة (باب المسجد، البهو الداخلي)

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، ص ٢٧ : ٢٨

ثانياً: الطراز المعماري الأندلسي في عصر بنى نصر

● غرناطة في عصر بنى نصر

استمر المرابطون في حكم الأندلس ما يقرب من ستين عاماً ثم فتحها الموحدون، وكانت الأندلس حينئذ قد انكشفت رقعته أمام الزحف الإسباني للاستيلاء على المدن الإسلامية فسقطت قرطبة ومرسيه وإشبيلية في أيدي الممالك المسيحية في الشمال. وكانت الأحوال السياسية تقتضي تأليف جبهة قومية تقف أمام الخطر الإسباني المسيحي فقامت مملكة غرناطة، وعقد عليها أهل الأندلس أمالهم لإنقاذ ما بقي من دولة الإسلام في الأندلس. وكان توسل بنى الأحمر بسلاطين بنى مرين ثم عقدهم محالفات سياسية مع ملوك قشتالة حيناً آخر عاملاً قوياً في إطالة أمد هذا الصراع الذي استمر ما يقرب من قرنين ونصف من الزمان.



شكل (٢-٣): قصر الحمراء بمملكة غرناطة بالأندلس، المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

(2) ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، قصور الحمراء، ٤ أجزاء، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، عام ١٩٧٧ م.

(3) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص 28

كان اشتداد تقدم حركة الاسترداد الإسبانية في قلب الأندلس، وتقلص رقعة إسبانيا الإسلامية نتيجة لذلك قد أدى إلى هجرة الأندلسيين من مدنهم التي استردها الإسبان إلى مملكة غرناطة. وكان من بين هؤلاء اللاجئين المسلمين عدد كبير من الفنانين والصناع وأرباب الحرف ممن شردوا بعد سقوط مدنهم في أيدي أعدائهم وأقاموا في غرناطة واستغلوا كل بقعة من أرضها، فنهض فن العمارة وفن الزخرفة وأقام محمد بن يوسف قسبة الحمراء وبنى فيها بعض الأسوار الضخمة (٤).



شكل (٢ - ٤): المخطط الحالي لقصر الحمراء.

● منشآت سلاطين بنى نصر في غرناطة

يعرف بنو نصر أيضاً ببنى الأحمر وهم آخر ملوك دولة الإسلام في الأندلس في مراحلها الأخيرة، وينتسبون إلى محمد بن يوسف بن نصر الذي يرجع إليه الفضل الأعظم في وضع أساس هذه السلطنة ولم تبق من مدن الإسلام بعد الموجة الضارية لحركة الاسترداد التي واكبت انهيار دولة الموحدين في الأندلس (٥).

كان لزاماً على محمد بن نصر أن يختار مقر سلطنته في موقع إستراتيجي منيع ووقع اختياره على معقل حصين يقع فوق القمة المعروفة بالسبيكة وأخذ في تعميره وترميم أسواره وإقامة قسبة حصينة تحيط بها المتنزهات وكانت هذه القسبة النواة الأولى للقصور المعروفة بالحمراء والتي ترجع إلى سلاطين بنى نصر.

والمجموعة الحالية لقصر الحمراء يرجع الفضل في إنشائها إلى بعض سلاطين بنى نصر أضاف كل منهم قصراً أو بنى مجلساً داخل برج من الأبراج تتقدمه بركة صناعية أو زود أحد القصور بصحن تتوسطه نافورة والحمراء مدينة ملكية تتخذ شكل الحصن الذي يقام في موقع مرتفع منيع يتميز بحصانته بفضل الأبراج والأسوار المحيطة به ويبلغ ارتفاع الهضبة التي شيدت عليها القصور ٧٣٦ متراً، وتشغل نحو خمسة وثلاثين فداناً وهي في ذلك تشبه إلى حد كبير قلعة الجبل في القاهرة وقلعة حلب في بلاد الشام وهذا الطراز من المدن المحصنة أصبح الطابع المميز للعديد من المدن الإسلامية ابتداء من القرن الرابع الهجري. وتضم الحمراء عدداً من الوحدات المعمارية شكل (٢ - ٥) بعضها قاعات ومجالس وبعضها أبهاء وبساتين تتخللها الجداول والبرك الصناعية خطط لها فوق تل السبيكة الذي عرف بهذا الاسم لتحويله إلى اللون الذهبي عندما تسقط عليه أشعة الشمس (٦).

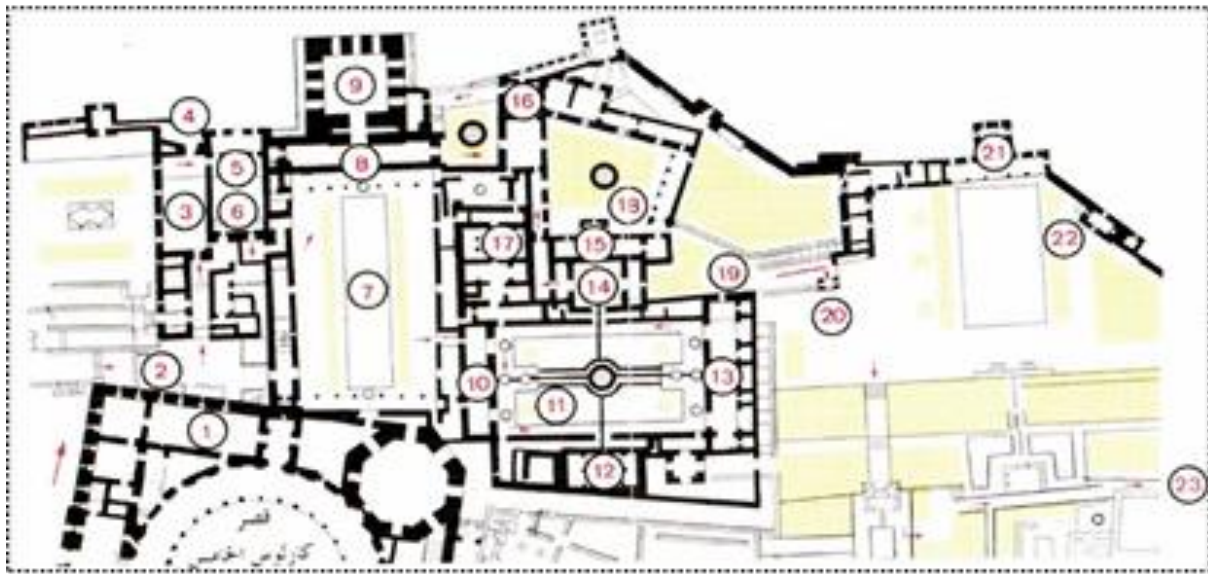
وقد اتسعت الحمراء بما أضيف من قصور وأبراج وقاعات ومرافق متعددة الأغراض حتى أصبحت بحق مدينة ملكية تضم القصور والحمامات والمساجد السلطانية والمتنزهات وصهاريج المياه وتطوقها الأسوار والأبراج المحصنة. أقدم قصور بنى نصر التي أقيمت بالحمراء كانت من إنشاء السلطان الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الذي وضع النواة

(4)Murphy, Arabian Antiquities of Spain, the Alhambra, London, year 1981

(5)عبد الهادي التازي، الحروف المنقوشة بالقرويين في خدمة الآثار، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، القاهرة، عام ١٩٦٦ م.

(6)محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ٤٨

الأولى للأسوار والقصبة والقصور فوق القمة المعروفة بالسبيكة ثم تتابعت الزيادات في القصور والمجالس والقاعات على أيدي عدد من سلاطين بني نصر شارك كل منهم بالإضافة والزيادة في إنشاء مجموعة من قصور الحمراء. ويمكننا أن نقسم مجموعة الأبنية المؤلفة لقصر الحمراء إلى مجموعتين المجموعة الأولى تنسب إلى السلطان يوسف الأول (١٣٣٣م : ١٣٥٤ م) وتشمل باب الشريعة Puerta De La Justicia و الحمامات السلطانية Los Banes وكذلك برج الأسيرة Torre De La Cutiva ومصلى البرطل El Partal وبرج أبي الحجاج Torre De ABULHAGGAG وقاعة السفراء SALON DE EMPJADORES والمجموعة الثانية وتنسب إلى السلطان محمد الخامس الغني بالله، وتضم مجموعة بهو الأسود PATIO DE LOS LEONES الذي يضم قاعتي الأختين SALA DE LOS DOS HRMANAS وبني سراج SALA DE LOS ABENCERRAJES المتقابلتين . بالإضافة إلى قاعة الملوك SALA DE LOS REYES وقاعة المقرصنات SALA DE LOS MOCARABES بالإضافة إلى النافورة التي تتخذ شكل قصعة مستديرة يحملها اثنا عشر أسداً تمج المياه من أفواهاها، ومن أبواب الحمراء جدد باب النبيذ .PUERTA DEL VINO



شكل (٢-٥): مخطط القاعات والأبهاء في قصر الحمراء، المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، ص ٤٧.

- | | | | | |
|----------------------|------------------------|-----------------------------|-----------------------------|--------------------|
| ١- قصر كارلوس الخامس | ٢- المدخل إلى المشور | ٣- المشور | ٤- مصلى المشور | ٥- القاعة المذهبية |
| ٦- واجهة قصر قمارش | ٧- بهو الريحان | ٨- قاعة البركة | ٩- قاعة السفراء وبرج قمارش | ١٠- قاعة المقرصنات |
| ١١- بهو الأسود | ١٢- قاعة بني سراج | ١٣- قاعة الملوك | ١٤- قاعة الأختين | ١٥- دار عائشة |
| ١٦- برج أبي الحجاج | ١٧- الحمامات السلطانية | ١٨- حديقة دار عائشة | ١٩- حدائق وممرات بين القصور | ٢٠- حدائق وممرات |
| ٢١- قصر البرطل | ٢٢- مصلى البرطل | ٢٣- حدائق وممرات بين القصور | | |

أما المجموعات الأخرى من القصور فترجع إلى عدد من سلاطين بني نصر أسهم كل منهم بالإضافة والتجديد والتعديل في قصر الحمراء فيرجع قصر البرطل EL PARTAL إلى السلطان محمد الثالث (١٣٠٢ م : ١٣٠٨ م) وكذلك مسجد الحمراء ويرجع الفضل في إنشاء قصر جنة العريف EL GENERALIFE إلى السلطان محمد الثالث واستكمل السلطان أبو الوليد إسماعيل (١٣١٣ م : ١٣٢٤ م) ويرجع قصر أو برج الأميرات TORRE DE LAS INFANTAS إلى السلطان محمد السابع (٨٢٠ هـ : ٨٥٨ هـ) ، كما أسهم سلاطين آخرون في الزيادة و التجديد لقصر الحمراء ببعض الإضافات في أبهاء أعمال وبساتينها سواء بالبنين أو بالزخرفة مثل تجديدات السلطان أبي الوليد إسماعيل في قصر البرطل مما يصعب أحياناً تحديد وتمييز أعمال كل منهم عن الآخر^(٧).

(7) عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، الكويت، عام ١٩٧٧ م، ص ١٠٠ : ص ١٠٥

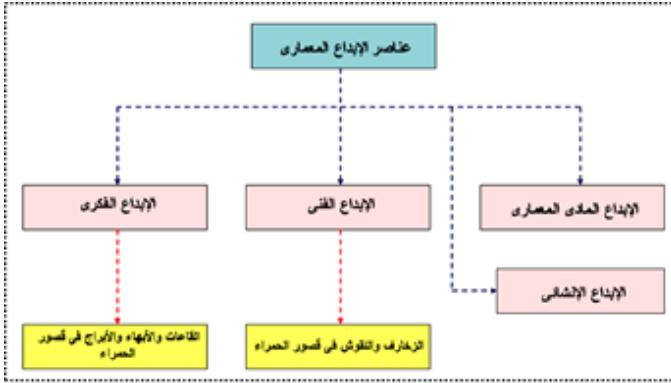


شكل (١-٦): برج قمارش وبهو الريحان، بهو الأسود، قصر البرطل، بهو الساقية - قصر جنة العريف، المصدر: بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، المغرب، عام ١٩٩٥ م.

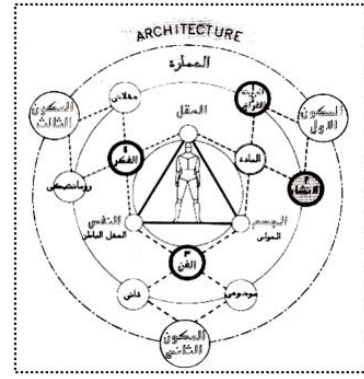
٢-٢ عناصر الإبداع المعماري

تتمثل عناصر الإبداع المعماري في **الإبداع المادي المعماري** وهو أن يحقق للإنسان المنظومة البيئية والفراغية اللازمة لراحته والمحقة لكفاءة أداء العمل داخل وخارج الفراغ المعماري مع توفير الأمن والأمان اللازمين لذلك. ويتمثل الشق الثاني للإبداع المادي وهو **المحقق للإبداع الإنشائي** بالتكنولوجيا المناسبة لخلق الفراغات المطلوبة والإنشاء ليس هدفاً، ولكنه الوسيلة لتحقيق الشق الأول فالإنشاء يجب أن يحقق بمواد البناء والتكنولوجيا المتوافرة (المنظومة الفراغية والكتلة الكفيلة بالوصول للأهداف المعمارية).

ويتمثل المكون الثاني وهو **الإبداع الفني** والذي يدخل بعملية البناء إلى مجال الفن وتأثيراته البصرية والنفسية ويزيد شعور الإنسان بالانتماء كما أنه يخلق الإحساس المناسب بوظيفة المبنى. وتتميز العمارة عن باقي الفنون بمكون ثالث يسمى بها لتكون بحق أم الفنون، وهذا المكون هو **الإبداع الفكري** وهو يرتفع بالعمل المعماري من مجرد خدمة انتفاعية إنشائية محددة ليصبح عملاً مثيراً يوجه الحياة الإنسانية بكاملها نحو التطور المستمر عبر العصور متأثراً بأهداف عصره، سواء كانت عقائدية أم اجتماعية أم سياسية، وخالفاً لتراث فني وفكري للأجيال اللاحقة^(٨).



شكل (١-٨): مخطط يوضح عناصر الإبداع المعماري في عمارة قصر الحمراء محل الدراسة



شكل (١-٧): مخطط يوضح عناصر الإبداع المعماري

المصدر: أ.د. علي رأفت، ثلاثية الإبداع المعماري، مركز أبحاث إنتركونسلت، الجيزة، ١٩٩٨ م.

(٨) أ.د. علي رأفت، ثلاثية الإبداع المعماري، مركز أبحاث إنتركونسلت، الجيزة، ١٩٩٨ م.

٣. عناصر الإبداع المعماري في عمارة قصر الحمراء بالأندلس (الدراسة التطبيقية).

١-٣ الإبداع المادي

١-١-٣ الإبداع الإنشائي

بدراسة قصر الحمراء يتضح مدى تطبيق عناصر الإبداع من قبل المصمم في تصميم وتنفيذ الحمراء حيث قام محمد الناصر بإعادة بناء الحصن القديم والمعروف بالقصبة وقام ببناء برج ضخم للمراقبة حيث يحوي السور الخارجي للحمراء ٣٧ برج دفاعي عملاق. استغرق بناء الحمراء ما يقرب من ١٥٠ عام على تله عالية يبلغ ارتفاعها ١٠٠ م لأغراض دفاعية عرفت باسم تلة سبيكة. كان البرج الرئيسي **شكل (٣-١)**، **شكل (٣-٢)** وهو الأضخم في أسوار الحمراء يتكون من وحدات تكرارية مكعبة الشكل مترابطة. اعتمد النظام الإنشائي الحامل داخل البرج على استخدام مجموعة من الأقواس المقنطرة تسمح بتدفق الضوء إلى الحجرات الداخلية. إلا أن البرج لم يتحمل الأحمال الناتجة عن ارتفاعه مما أدى إلى بناء حوائط حاملة مائة للأقواس فتغير تصميم البرج. كان برج المراقبة أول برج شديد في غرناطة تم تشييده على الحافة الغربية لتل سبيكة ليكون مركز الثقل حيث كان يطل على ثلاث جهات والجهة الأخرى يوجد الجبل. تم بناء البرج على منحدر شديد على تل سبيكة وبمواد بناء محلية^(٩).



شكل (٣-١): مجسم يوضح الأبراج الدفاعية **شكل (٣-٢):** برج المراقبة والذي أنشأه محمد الناصر، الوحدات التكرارية الإنشائية المكعبة للبرج

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

نتيجة لعدم تحمل الأقواس للأحمال العلوية اضطروا إلى بناء حوائط من الحجر داخل تلك الأقواس لزيادة عملية التحميل. وزن البرج يسحق الأقواس الحاملة له مما يؤدي إلى ضغط على الحوائط الخارجية له فيؤدي إلى تصدع جدرانها. قام السلطان بعمل شبكة من أبراج المراقبة على محيط غرناطة إنمها تالياس تقوم بنقل الأخبار إلى الأبراج على محيط الحمراء للإنذار عند وجود خطر^(١٠).

● مواد البناء المستخدمة في تشييد الحمراء

تم الاعتماد على مواد البناء المحلية في إنشاء الحمراء حيث تم استخدام مزيج من الطين والرمل والحجارة وهي المادة المكونة لتل سبيكة حيث تم خلطها بالماء ووضعها في قوالب لاستخدامها. كما أن لون المادة أعطى هذا البناء اسمه حيث كانت تتميز المادة باللون الأحمر. بلغ سمك حوائط الحمراء ثلاث أمتار. تم بناء الحوائط الخارجية للحمراء باستخدام شدات رأسية عبارة عن الواح من الخشب ترتبط باستخدام قطاعات أفقية من الخشب يتم ملئ تلك الشدات باستخدام مادة البناء المستخدمة في بناء الحمراء^(١١).

^(٩) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ٥٢

^(١٠) دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٩٠ م.

^(١١) عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، الكويت، عام ١٩٧٧ م، ص ١٠٠: ص ١٠٥

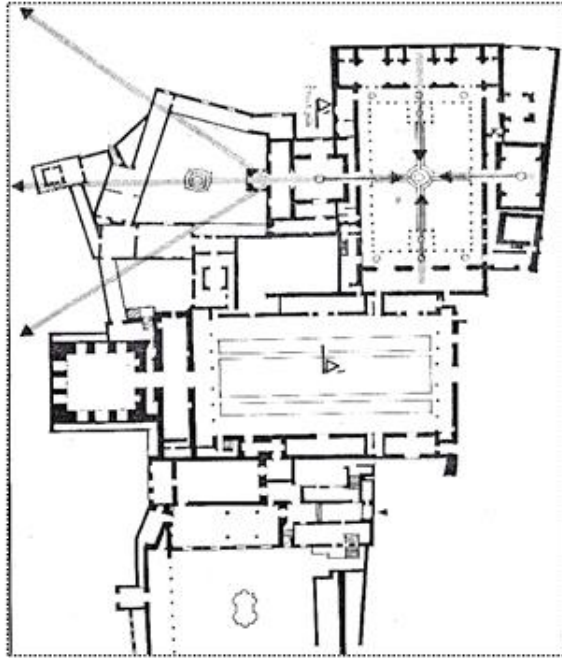
المادة المستخدمة في بناء الحمراء تتطير بفعل العوامل الجوية والماء والهواء لذلك تم إضافة كمية من الرمل والجير " الجص " لتقوية مادة البناء وذلك يمنح البناء مقاومة أكبر⁽¹²⁾.

٣-١-٢ الإبداع المادي والحسي في تصميم الفراغ

العلاقات المادية والحسية بين الفراغ الداخلي والخارجي تتدخل في تحديدها العديد من الاعتبارات والمؤثرات، وفي إطار البحث عن القيم المعمارية في عمارة الماضي فإننا سنلقى الضوء على نوعين من العلاقات تعدان سمة من أبرز سمات العمارة الأندلسية وهما علاقة الفتحات بتحديد نوعية العلاقة بين الفراغ الداخلي والخارجي وعلاقة عنصر المياه بتدعيم وتجسيد العلاقة التي تربط الفراغات الداخلية بالفراغات الخارجية.

أما فيما يتعلق بالفتحات التي تجسد نوعية العلاقة بين الفراغ الداخلي والفراغ الخارجي فقد تعددت المؤثرات التي تعطيها طابعها الخاص والمميز لها وبظرة على أسلوب معالجة الفتحات في كل من المنشآت المعمارية الأندلسية نجد أن المؤثرات البيئية المختلفة هي المحدد الرئيسي في إعطاء تلك الفتحات النمط النهائي الذي تتميز به. بينما نلمس القدرات الإنسانية المختلفة وهي تتدخل بشكل رئيسي وفعال في إعطاء الفتحات الأندلسية طابعها المميز، وهذا عائد بصورة أساسية إلى أن البيئة المناخية في الأندلس أقرب إلى الاعتدال وطبيعة الأرض الجبلية وما في البيئة الطبيعية بوجه عام من قيم جمالية مرتفعة قد جعلت من العوامل الإنسانية والوجدانية عاملاً مؤثراً بصورة واضحة على تشكيل الفتحات هناك.

وبداية فإن استخدام المحاور القوية يعد من السمات الأساسية لعمارة القصور الأندلسية ولكنها لا تؤدي إلى الإحساس بالرهبة المعهودة في هذا النوع من التكوينات ولكنها استخدمت للتفاعل مع التكوين الفراغي للمبنى وللتأكيد على المعاني الكائنة وراء تلك التكوينات ولقد ارتبطت المداخل (التي تجسد العلاقة بين الفراغات المختلفة) بتلك المحاور كما ارتبط استخدام المياه بها أيضاً فلو تتبعنا حركة الإنسان من داخل قاعة الأختين إلى فناء الأسود لوجدنا تناغماً في العلاقة بين التكوين الفراغي للفتحات والسي مترية المميزة لذلك التكوين وبين حركة المياه من مركز القاعة إلى نافورة الأسود التي تقع في مركز الفناء شكل (٣ - ٣).

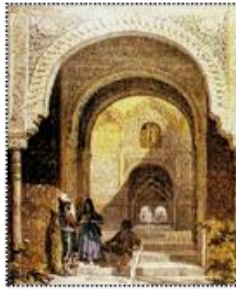


شكل (٣-٣): المحاور القوية من السمات الأساسية لعمارة القصور الأندلسية حيث تتفاعل مع التكوينات الفراغية لتؤكد المعاني الكائنة وراء تلك التكوينات في إطار من السيمترية الغالبة المصدر: تحليل الباحث.

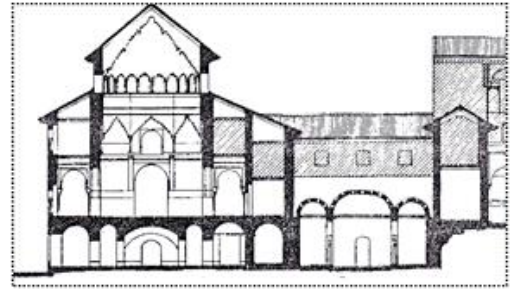
(12) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ٥٢

ومن هنا يتضح أيضاً الدور الذي لعبته قنوات المياه في تأكيد الحركة من الداخل للخارج والعكس فهذه المحاور هي تجسيد للإحساس التلقائي بالحركة ضمن فراغات المبنى من القاعة الرئيسية عبر مجموعة العقود المتتالية إلى الفناء المسيطر ويأتي الفراغ الانتقالي المحيط بالفناء ليخفف من حدة العلاقات التكوينية **شكل (٣-٤)**.

تشكل قاعة الأختين الواقعة على المحور الشمالي لفناء الأسود عنصراً قائماً بذاته، حيث يحتوي على فراغ مركزي مسيطر مربع الشكل في مركزه أيضاً نافورة مياه صغيرة متصلة بفناء على محور الاتصال بينما توجد على المحاور الثلاثة الأخرى فراغات مستطيلة الشكل. ومن ناحية أخرى فإن قناة المياه الخارجة من هذا الفراغ تصب في فراغ آخر يفوقه هيمنة وسيطرة (فناء الأسود) حيث إنه يتحكم في التكوين الكلي للمبنى ويربط فراغاته المختلفة ببعضها البعض وهو محدد لنوعية العلاقات المتبادلة التي تربط بينها. وهنا يأتي دور الفراغات الوسيطة الانتقالية لتعمل على خلق التوازن بين قوتين فراغيتين قائمتين بذاتيهما، ولكن الفراغ الانتقالي هنا ذو تكوين فراغي متمم لدور الفناء لذا عمد المعماري إلى إضافة فراغات وصل وربط أخرى بين الأرض والسماء وإذ يبدو معلقاً فوق مستوى النظر تعطيه زخرفة المقرنات الرقيقة جمالاً كونياً ونوعاً من الخفة تصل إلى انعدام الجاذبية وإلى اللامادية **شكل (٣-٥)**.



شكل (٣-٥): الفراغ المركزي المسيطر لقاعة الأختين ذو النافورة المركزية المتصلة بفناء الأسود

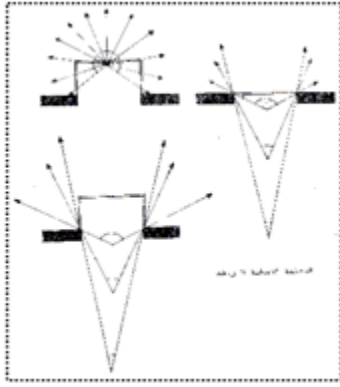


شكل (٣-٤): قطاع أ-أ التكوين الداخلي لفراغ قاعة الأختين

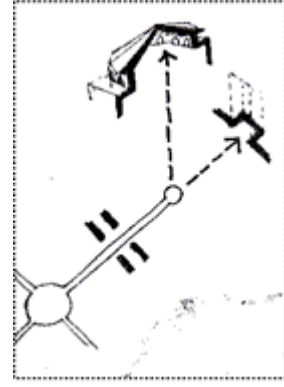
المصدر: دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.

وعلى المحور الأفقي تتجسد نفس الاستجابة الفراغية في عملية الاتصال بالفراغ الخارجي ومن هنا نشأت العلاقة المترابطة والمتكاملة بين المحور الأفقي والرأسي لاستجابتهما المتزامنة لنفس الدوافع فالخطوط والتكوينات الرأسية تعبر عن علاقة فعالة بالسماء وتعبر عن الرغبة لاستقبال الضوء فالرأسية والمشاعر الدينية تربطهما عادة علاقة قوية ولكن العلاقة بين الاتجاه الأفقي والرأسي لا تصير ذات معنى إلا إذا اتخذت كل من التكوينات الأفقية والرأسية تشكيلات معينة لتعبر عن علاقة خاصة بالأرض والسماء فحرية الانطلاق التي رأيناها من خلال القبة المثلثة يجب أن تقابلها أيضاً حرية في تكوين الفراغ أفقياً، هذه الحرية تجسدت بوجود فتحات ذات معالجة خاصة بحيث ينعقد الإحساس بوجود الحوائط المغلفة للفراغ وبالتالي يبدأ كل من الفراغ الداخلي والخارجي في الامتزاج من خلال تلك المعالجة **شكل (٣-٦)**، **شكل (٣-٧)**.

(13) دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص ٩٥، ١٩٩٠ م.



شكل (٣-٧): خطوط الرؤية (معالجة النواذف في العمارة الأندلسية).



شكل (٣-٦): نواذف وقبة قاعة الأختين (الاتصال بين الأرض والسماء)

المصدر: تحليل الباحث.

٣-١-٣ الإبداع المادي (استخدام عنصر الماء في الربط بين الفراغ الداخلي والخارجي)

- مصادر المياه (الإبداع الفكري في كيفية توفير المياه داخل قصر الحمراء).
لم يكن هناك مصدر عذب للمياه على تل سبيكة لتوفير المياه لسكاني الحمراء حيث كانت الحمراء زاخرة بالحياة وتحوي منازل العمال حيث وصل عدد السكان داخل قصر الحمراء إلى ما يقرب من خمسة آلاف شخص ولإعالة هؤلاء السكان تم إقامة العديد من الحدائق داخل جدران الحمراء حيث صممت حدائق الحمراء لتخدم أغراض التنزه والجمال ولزراعة وحصد الغلال لذلك كان عليهم التفكير في كيفية رفع المياه إلى قصر الحمراء.
كان هناك نهر شمال الموقع يسمى نهر دارو وهو غدير صغير يجري عبر غرناطة ومنسوب المياه كان في الأسفل وهو يريد المياه في الأعلى لذلك تم إنشاء سد في منسوب أعلى من الحمراء يعمل على تجميع المياه في خزان ثم نقلها إلى الحمراء من خلال ساقية " قناة مائية " (١٤) شكل (٣-٨)، شكل (٣-٩).



شكل (٣-٩): اسكتش يوضح مكان خزان الماء على نهر دارو في منسوب ارتفاع الحمراء.



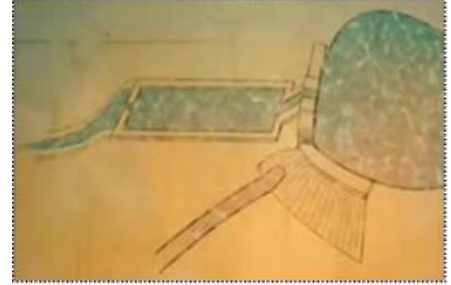
شكل (٣-٨): اسكتش يوضح مسار نهر دارو خلال المرتفعات بجوار الحمراء.

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

لنقل المياه من نهر دارو إلى الحمراء تم إنشاء سد يتكون من بوابتين لحجز المياه. تم إنشاء السد في منسوب أعلى من منسوب تلة الحمراء. الساقية التي تنقل المياه إلى الحمراء يبلغ طولها نحو ٦ كيلومترات على اتصال بخزان الماء الملحق بالسد والذي يأخذ شكل حمام سباحة مربع يتم ملئه بالماء من السد شكل (٣-١٠). تتدفق المياه إلى الحمراء من خلال القناة المائية والتي تم حفرها في الأرض وبناء جوانبها باستخدام الطين والجص إلا أن كان هناك عائق عبارة عن تلة في طريق الساقية فتم نحت ساقية في عمق التلة من خلال نحت نفق في الجبل تمر من خلاله المياه شكل (٣-١١). والمياه

(14) العمارة الأندلسية (عمارة المياه)، ترجمة د. على إبراهيم على منوفي، تأليف باسيليو بابون مالدونادو، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص ٢٣٨.

تنتقل إلى تلة العريف ولنقل المياه إلى تلة الحمراء تم إنشاء جسر يحمل قناة بطول ١٥ متراً. كذلك لجأ مهندسو السلطان إلى فكرة جيدة لترسيب الطين والعوالق الموجودة بالماء للتخلص من الرواسب وذلك من خلال عمل نقط تهدئة دائرية عند أركان قنوات المياه لترسيب العوالق من خلال تهدئة سرعة المياه في الأركان. كذلك تم عمل قناة لتصريف المياه الزائدة من خلال جمع المياه الزائدة داخل أنبوب وتصريفه إلى نهر دارو من جديد.



شكل (٣-١١): اسكتش يوضح الساقية المستخدمة لنقل المياه للحمراء من خلال نحتها في الجبل.

شكل (٣-١٠): اسكتش يوضح السد وخزان الماء على مسار نهر دارو.

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

تم إنشاء مجموعة من الخزانات المائية على تلة قصر جنة العريف لمد الحمراء بالماء في أوقات الجفاف. حيث تم إنشاء ناعورة ضخمة تتحرك بقوة الدواب لنقل المياه من الخزانات إلى الساقية لتمد قصر الحمراء بالماء.



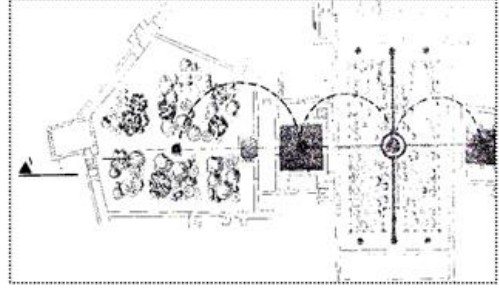
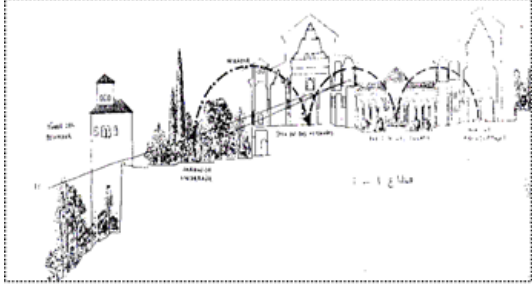
شكل (٣-١٣): اسكتش يوضح مسارات حركة المياه داخل القنوات في الحمراء

شكل (٣-١٢): اسكتش يوضح مسار نقل المياه من النهر إلى جنة العريف والحمراء

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

● استخدام عنصر الماء في إطار العلاقة بين الفراغ الداخلي والخارجي
لقد اقترنت العلاقات الفراغية للعمارة الأندلسية في كثير من حالاتها باستخدام عنصر الماء لتعميق الصلة بين تلك الفراغات، وعنصر " الماء " ذو تأثيرات متعددة إذا اقترنت بالتكوينات الفراغية لأي مبنى. فالماء يساعد في التحكم في المناخ العام للفراغات الداخلية وجذب الهواء وتبريده، كما أن له تأثيرات معنوية وروحية متنشعبة ومتعددة. ولكن سنتناول الدراسة الدور الذي يؤديه هذا العنصر في إطار العلاقة بين الفراغ الداخلي والخارجي فطبيعة التكوين الذي تتحرك من خلاله المياه أو تسكن يشكل العامل الرئيسي في رسم الخطوط العريضة لتأثير عنصر الماء على علاقة الفراغ الداخلي بالفراغ الخارجي والتكوينات الساكنة أو الديناميكية ترتبط في الإحساس بها بموقف الإنسان منها، فالتكوين الفراغي لفناء

الرياحين يميل إلى السكن أكثر منة للحركة لاقتصار الفراغات الانتقالية على نهايتيه الشمالية والجنوبية. لذا فإن طبيعة التكوين المائي الساكنة تتناسب وطبيعة التكوين الفراغي للفناء (١٥).



شكل (٣ - ١٤): (مسقط أفقي وقطاع لفناء بهو الأسود) استخدام عنصر المياه لتأكيد الاستمرارية بين الفراغات الداخلية والخارجية في فناء بهو الأسود. المصدر: دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.

أما بالنسبة لفناء الأسود فتحيط به الفراغات الانتقالية التي تأخذ ألواناً متعددة من المعالجات التي يجسدها التكوين الفراغي للمقصورتين الشرقية والغربية. أما على الطرف الشمالي والجنوبي للفناء فتقع كل من قاعة الأختين المواجهة لحي البيازين وقاعة بنى سراج في الجهة الأخرى هاتان القاعتان تشكلان ضمن التكوين الفراغي عنصرين رئيسيين حيث تتبعهما عناصر فراغية ثانوية. وبالتالي فإن الفناء يمثل العنصر الرئيسي المركزي والمهيمن على التكوين لذا جاءت طبيعة التكوين المائي في الفناء ديناميكية في هيئة نافورة مياه تنطلق من أفواه الأسود الاثنى عشر (١٦) شكل (٣ - ١٥).

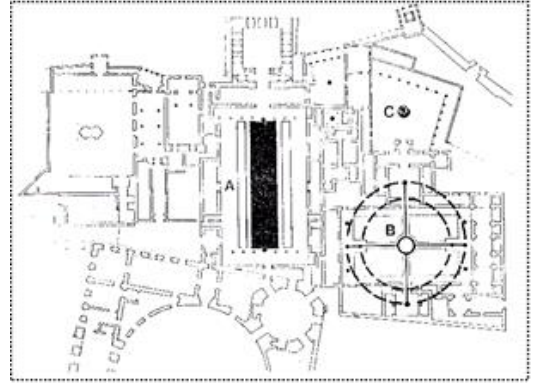
والإنسان في أثناء تواجده في فناء الأسود وتتبعه لقنوات المياه الممتدة في اتجاهين متعامدين من النافورة الوسطى لا تدرك حواسه نهاية تلك القنوات لكن اتجاهاتها المركبة تدل على أنها قد تنتهي في مكان ما في الفراغات الداخلية المحيطة. أما نافورة المياه الثانية ضمن فراغ المقصورة فهي تقع على دائرة وهمية تربط بينها وبين المداخل الخاصة بكل من قاعة الأختين وبنى سراج وهنا يبرز دور المقصورة الشرقية والغربية كعوامل اتزان فعال ضمن التكوين الفراغي الكلي علاوة على ما يمثلان من تأكيد المبدأ الفني السائد في التكوينات الإسلامية على كافة مستوياته حيث تشترك العناصر السالبة والموجبة في التكوين لإتمام وإكمال توصيل المعنى وتحقيق وحدة بها جمال. ومن هنا جاءت قنوات الماء المتعامدة والنافرات كعناصر جمالية سالبة تتكامل مع العناصر المعمارية الموجبة فهي محاور يجرى فيها الماء ليستتر ضمن العناصر الفراغية الرئيسية وليؤكد ارتباطها فالماء بذلك يمثل الحركة في الفراغ ويمثل العلاقة التي تربط بين الفراغات الداخلية والخارجية مؤكداً الاستمرارية بين الداخل والخارج.

هذا الدور الذي تؤديه القنوات الضيقة للمياه يتباين مع الدور الذي تؤديه بركة المياه المستقرة في فناء الرياحين حيث تعكس مياه البركة التكوين الفراغي فتؤدي إلى إضفاء روح الاتساع على المكان بالإضافة إلى المؤثرات النفسية المختلفة لعملية الانعكاس هذه (١٧).

(15) دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص ١١٦، ١٩٩٠ م.

(16) دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص ١١٦، ١٩٩٠ م.

(17) العمارة الأندلسية (عمارة المياه)، ترجمة د. على إبراهيم على منوفي، تأليف باسيليو بابون مالدونادو، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص ٢٣٨.

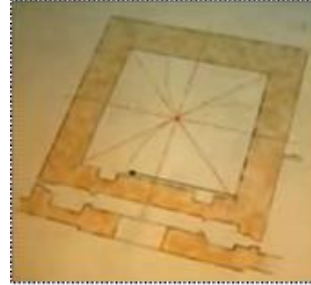


شكل (٣-١٦): فناء الأسود قنوات المياه المتعامدة والنا فورات تمثل العناصر الجمالية السالبة التي تشترك مع العناصر الموجبة في التكوين لإتمام وإكمال توصيل المعنى وتحقيق وحدة بها جمال، فناء الرياحين تعكس مياه البركة التكوين الفراغي فتؤدى إلى إضفاء روح الاتساع على المكان بالإضافة إلى المؤثرات النفسية المختلفة لعملية الانعكاس على الماء
المصدر: العمارة الأندلسية (عمارة المياه).

شكل (٣-١٥): الاستخدام الساكن والديناميكي لعنصر المياه داخل قصور الحمراء

٣-١-٤ الإبداع المادي (الوحدات المديولية المستخدمة في بناء قصر الحمراء)

في عام ١٣٣٣م اعتلى يوسف الأول عرش الحمراء وتحالف مع المارنيين في شمال إفريقيا لمقاومة الممالك المسيحية. بنى يوسف الأول برج دفاعي هو برج المتزين وكان أكبر برج على السور الشمالي للحمراء. حيث يبلغ ارتفاعه ٤٥ متراً بنى يوسف قصر يوسف وبه قاعة السفراء. استخدم المسلمين وحدة الذراع للقياس وكان طوله ٦٢ سم وهي الوحدة المديولية المستخدمة في بناء قصر الحمراء.



شكل (٣-١٧): اسكتشات توضح النسب المديولية المستخدمة في تصميم قاعة السفراء في برج المتزين الذي أنشأه يوسف الأول.

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

صممت قاعة السفراء قوامها ١٨ ذراع مربع حيث تم استخدام العلاقات الهندسية في تصميم قاعة السفراء وكان الهدف منها إعطاء إحساس بالرهبة لزوار الملك الذي كان يطل مجلسه على غرناطة وحي البيازين فيعطى إحساس بالرهبة أمام أعداءه (١٨) شكل (٣-١٨)، شكل (٣-١٩).

(18) دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص ١١٦، ١٩٩٠ م.



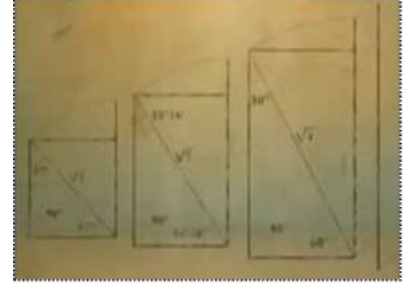
شكل (٣- ١٩): مجلس يوسف الأول بقاعة السفراء وخلفة فتحات تطل على غرناطة



شكل (٣- ١٨): فتحات قاعة السفراء التي تطل على حي البيازين بغرناطة

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

قصر محمد الخامس والذي يحوي بهو الأسود هو تحفة معمارية كانت نتاج الصداقة بين محمد الخامس مع بدرو ملك قشتالة والتي أصبحت المنافسة بينهم في فن العمارة وليست في المجال الحربي. تأثر ذلك القصر بالانمطين القتالي والإسلامي بفن العمارة. حيث استخدم محمد الخامس علم الهندسة في وضع نسب قصر الأسود من خلال استخدام المحاور القطرية وعمل دورنات لاستنتاج مستوى الأدوار المختلفة.



شكل (٣- ٢٠): الوحدة المديولية المستخدمة في تصميم قصر الأسود.

المصدر: <https://en.wikipedia.org/wiki/Alhambra>

٢-٣ الإبداع الفني (الزخارف والنقوش في قصور الحمراء)

١-٢-٣ العناصر الزخرفية والقيم الفنية والجمالية

امتزجت النقوش الكتابية في قصر الحمراء المسجلة بالخط الكوفي والتلث بكل مقومات الزخرفة الإسلامية هندسية ونباتية، ويرجع الفضل الأعظم في الاهتمام بهذه العناصر الكتابية والهندسية والنباتية لزخرفة المسطحات المراد تزيينها إلى نفور المسلمين من فن التصوير، وحرصهم من استخدامه بسبب كراهية الإسلام لهذا الفن الذي دفع الفنان المسلم إلى التماس هذه العناصر لتزيين مسطحاته حيث أتاح استخدامه لها حرية مطلقة لإشباع ميولة الفنية وإبراز حذقة ومهارته في صنعه، وهكذا وضع الفنان نصب عينية اصطناع التوريق والتشجير والخطوط الهندسية من دوائر متقاطعة وأطباق نجمية تبرز من خلاله النقوش الكتابية، فتفنن في صياغتها وأبدع في تشكيلاتها مطبقاً كل خصائص القيم الجمالية من تعادل وتوازن في التوزيع وانسجام وتناسق في التكوين مما جعل للفن الإسلامي ذلك الطابع الزخرفي الأخاذ الذي تميز به عن سائر الفنون الأخرى^(١٩).

ويتمثل العديد من العناصر الزخرفية المرتبطة بالنقوش المحفورة على جدران الحمراء وتكون مزيجاً فنياً رائعاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفنون العمارة والزخرفة، وفيما يلي عرض لأهم العناصر الزخرفية المرتبطة بالنقوش:

(19) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ٣٠٥.

٣-١-١-٢-١ الزخارف النباتية " التوريق " (٢٠)

أتقن الفنان الغرناطي في عصر بني نصر الرسوم النباتية ووفق في صياغتها توفيقاً كبيراً فكانت أكثر مرونة وأقرب إلى الطبيعة ومن أهم العناصر الزخرفية المستخدمة في زخارفه المراوح النخيلية الكاملة وأنصافها الوريدات والفروع والسيقان النباتية، والتوريقات متعددة الفصوص التي تبدو مبسطة مرة ومنكمشة مرة ثانية ومنتنيه مرة ثالثة ونراها تظهر مرة مصبغة ومختمة ومرة ملساء.

وكانت التوريقات تختلط عادة بفروع متموجة على شكل فروع مستديرة تتقاطع فيما بينها اتخذها الفنان خلفية لنقوشه الكتابية البارزة في قاعة السفراء وبرج الأسيرة وبهو الأسود وقاعة الأختين وتتخذ نهايات الحروف أشكالاً زخرفية متنوعة بتعانقها مع السيقان والفروع والتوريقات النباتية متعددة الفصوص والأشكال كما نرى في نقش باب الشريعة شكل (٣-٢١).

وترتكز النقوش عادة على مهاد من الزخارف النباتية التي تضم رسوماً دقيقة لأفرع نباتية مورقة وتموجة وتكون لفائف تغطي الأرضية التي تقوم عليها النقوش ونلاحظ أن هذا المهاد من التوريق ساعد على إبراز الحروف وإظهار قيمتها الجمالية لا سيما وأن الخط العربي يتميز بمرونته وقابليته للتشكيل الزخرفي. وقد أوحى الفكرة الزخرفية التي تنسم بها النقوش الكتابية العربية للفنانين الأوربيين فكرة الاقتباس من الحروف العربية وكتابتها بالحفر على تيجان الأعمدة بالكنايس وعلى أقواس بواباتها.



شكل (٣-٢١): زخارف نباتية تتكرر على جدران الحمراء.

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، ص ٣٠٣

٣-١-٢-٢ الزخارف الهندسية (٢١):

قسم الفنان الغرناطي الجدران إلى قطاعات هندسية لتساعد على التشكيل الزخرفي فتتخذ النقوش مساحات هندسية قوامها المربعات والمستطيلات والأشرطة والأفاريز الطولية والعرضية وتبدو تلك التشكيلات متناظرة ومتماثلة في توازن وتناسق بديع. كذلك تتنوع الأفاريز التي تطوق الكتابات فهي إما مستطيلة، أو مربعة أو داخل جامات أو محصورة في عقود كما في نقوش الطاقات التي تكتنف المداخل إلى قاعات وأبراج قصر الحمراء، وكثيراً ما تداخلت العناصر الزخرفية النباتية مع التكوينات الهندسية ونتج من ذلك المزج تشكيلات زخرفية توصل إليها الفنان الغرناطي لأول مرة لم يسبقه إليه أحد.

ويظهر في النقوش الكتابية التي تزين جدران الحمراء عنصر التماثل والتناظر في أروع صورة في النقوش الكتابية التي تتخذ الشكل المعكوس أو المعروف طرداً وعكساً على شكل " المرأة " وهو تكوين كتابي هندسي يعكس فيه الجانب الأيمن ما هو في الجانب الأيسر وتجمع الحشوات الزخرفية التي تزين جدران الحمراء بين العناصر الفنية التي تميز بها

(20) حسن الباشا، الفنون الإسلامية، الجزء الثالث، ص ١٣٥٢.

الفن الإسلامي فكل حشوة تجمع بين العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية في صورة من أجمل التكوينات الزخرفية في الفنون العالمية ويطلق المؤرخون على هذا التشكيل الزخرفي في دراسة قصر البرطل (التكوين الزخرفي بوظائفه الثلاث الهندسية والنباتية والكتابية).

٣-٢-١-٣ الألوان والقيم الفنية والجمالية (٢٢):

استعمل الفنان المسلم الألوان وتفوق في استخدامها تفوقاً كبيراً وكانوا يفضلون الألوان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كالأخضر والأحمر والأصفر ولون الذهب والفضة ، واستخدموا معاني خاصة للألوان فقالوا أن السندس هو الأخضر الفاتح، والإستبرق عند الرسامين والمزخرفين هو الأزرق، وفضلوا الأحمر الداكن على غيره وسموه المرجان لورود اللفظ في القرآن الكريم، ومن هذا القبيل سمو اللون الأبيض باللؤلؤ أما الأحمر القاني فقد سموه بالياقوت واللفظ قرآني أيضاً، ومعنى ذلك أن الفنانين المسلمين ظلوا في أعمالهم دائماً مرتبطين بالقرآن الكريم مما أضفى على أعمالهم جمالاً وسحراً روحياً.

من العوامل التي أبرزت جمال النقوش الكتابية في قصر الحمراء والعناصر الزخرفية المنبسطة تحتها اختيار الألوان المناسبة التي تشيع الجمال على التشكيلات الزخرفية وأهمها اللون الذهبي والأحمر والأزرق والأخضر وهي من الألوان التي استخدمها الفنان في زخرفة جدران قاعات وقصر الحمراء وهي ألوان شاع استخدامها في الفنون الإسلامية، وطريقة إعداد هذه الألوان هي أن يكسي الجدار بطبقة من الجص ثم يطلى من فوقها بالألوان المختلفة ويراعى أن يوضع الطلاء قبل أن يتم جفاف الجص حتى تنتشر الجدران الألوان وبذلك يتفادى سقوطها وأحياناً كانت تستخدم الألوان أثناء إعداد الزخارف الجصية في قوالب.

واستعمل اللون الأحمر والأزرق واللون الذهبي وترتيبها وتوزيعها على الجدران والنقوش يدل على براعة ومهارة في التنفيذ ودقة في الأداء ومعرفة بالمعاني الرمزية للألوان وما تحدثه من تأثير في النفس والذهن. وقد استخدم الفنان اللون الأحمر والذهبي في أساس النقوش وصبغت حواجزه الجانبية باللون الأزرق على مدى واسع لتعديل التأثير الذي ينجم عن اللون الأحمر والذهبي، أما بقايا اللون الأخضر والأسود والأرجواني فهي نتيجة لأعمال الترميم العشوائي التي قام بها الأسبان في القرون الماضية على غير أساس علمي وعدم فهم للألوان وانسجامها.

ولا يخفى ما للألوان من تأثير جمالي وزخرفي وفق الفنان الغرناطي غاية التوفيق في توزيعه على نحو يثير النشوة والجمال ويسبغ على المسطحات المزخرفة رونقاً بلغ إلى حد يدعو المرء إلى التأمل دون كلل أو ملل مع إحساس بتقدير في المشاعر نتيجة طبيعية لما تحققه التشكيلات الرائعة بألوانها المتدرجة الهادئة في النفس من باب اللذة المكتسبة للنفس عن طريق حاسة البصر " إن النفس تبتهج بما كان من الأجسام له اللون الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض البسيط منها والمركب فنظر هذه الألوان يوجب راحة النفس ولذة القلب وسرور العقل ونشاط الذهن وتوفر القوى وذلك لأنها ألوان مشرقة نيرة فالنفس لإشراقها ونورانيته تميل إلى ما ناسبها ".

ولا شك أن عرفاء العمارة والفنون في عصر بني نصر وفقوا غاية التوفيق في إبراز القيم الفنية والجمالية عن طريق الربط بين جمال الزخارف والنقوش ونجحوا في مزج المنظر الطبيعي بالبناء وخلطوا بين الأدواح والأشجار وبين البوائك والعمد ومما لا شك فيه أن مزج التوريقات الحية بالتوريقات والنقوش الجصية الملونة التي تكسو كافة الجدران كان له أعظم الأثر في إحداث تأثير جمالي بسيط في مظهره قوى في تأثيره في النفس فقد استطاع العرفاء والفنانون تسخير الزخرفة التي أفتنوا بها في إبراز التوازن والتناسق الذي يعتبر من أخص مميزات الفن الإسلامي وكأنما ينظمون قصيدة أو ينشدون لحناً يثير النشوة والإعجاب.

(21) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ٣٠٥.

(22) Antonio Almagro Corbia, Arquitectura en el Andaluz, Madrid, year 1995.

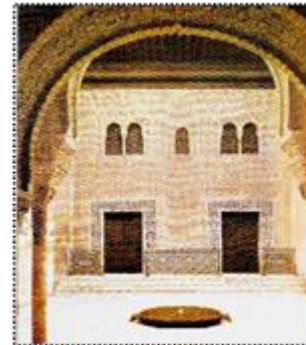
٣-٣ الإبداع الفكري (دراسة وصفية للقاعات والأبهاء والأبراج في قصر الحمراء)

استخدم المعماري المصمم والمنفذ للحمراء جدران القاعات والأبهاء والأبراج كأداة لنقش الشعر العربي بهدف الحفاظ عليه فكانت ما تحويه جدران الحمراء من نقوش هي ذاكرة التاريخ للحضارة العربية في الحمراء ودليل على مدى الإبداع الفكري الذي وصلت له الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وفيما يلي عرض لأهم القاعات والأبهاء والأبراج في الحمراء والنقوش الشعرية المستخدمة في تزيين جدرانها.

٣-٣-١ قصر قمارش

أ- واجهة المدخل إلى قصر قمارش

تعتبر واجهة قصر قمارش من أجمل الواجهات في العمارة الأندلسية من الناحية المعمارية والزخرفية ويعلو واجهة المدخل أسفل الظلة التي تمتد بمحاذاة سقف المدخل نقش كتابي عبارة عن أبيات شعرية من نظم ابن زمرك ويرجع النقش إلى عصر السلطان محمد الخامس وقد سجل بالخط الثلث الأندلسي على الخشب ومحصور داخل إطارات مستطيلة الشكل ينتهي طرفها بعقد مفصص الشكل والنقش على مهد من التوريقات النباتية (٢٣) شكل (٣-٢٢)، شكل (٣-٢٣).



شكل (٣-٢٣): تفاصيل من نقش المدخل إلى قصر قمارش

شكل (٣-٢٢): واجهة المدخل إلى قصر قمارش

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، ص ١٠٢

ب- بهو الريحان

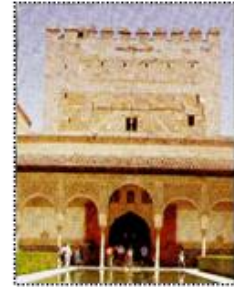
هذا البهو يعرف ببهو الريحان وبساحة الأس وببهو الريان وهي تسميات مستحدثة لم ترد في المصادر المعاصرة، إلا أننا وجدنا تسمية في ديوان ابن زمرك وهو " برطل القصر" وندخل إلى هذا البهو عن طريق واجهة قصر قمارش وهي الواجهة الفخمة التي أنشأها السلطان محمد الخامس لمجموعة القصور الداخلية التي أنشأها السلطان يوسف الأول وجدها وأضاف إليها السلطان محمد الخامس والتي تتضمن القسم الرسمي الخاص بالتشريفات السلطانية والاستقبالات الرسمية وهي قاعة البركة وقاعة السفراء ويتقدمها بركة ماء عميقة ومستطيلة الشكل تحف بها الأزهار والرياحيين. ويشرف عليها من الناحية الشمالية والجنوبية رواقان مسقوفان بظلة تشرف على بركة المياه بيانكة مكونة من سبعة عقود نصف دائرية أكبرها العقد الأوسط الذي يليه مدخل كل قاعة مباشرة وتقع على يمينه وعلى يسار الأبيات الشعرية والأبيات منقوشة بالخط الثلث الأندلسي وقد أجريت عليها ترميمات عديدة غيرت من أسلوب الخط والكتابة في بعض الأبيات ويبلغ مجموع الأبيات الشعرية إثني عشر بيتاً في مدح السلطان محمد الخامس والتغني بانتصاراته (٢٤) شكل (٣-٢٤)، شكل (٣-٢٥).

(23) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ١٠٢

(24) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ١٠٦



شكل (٣- ٢٥): البائكة التي تتقدم المدخل إلى قاعتي البركة والسفراء.

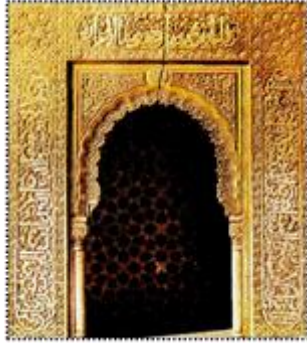


شكل (٣- ٢٤): بهو الريحان وبرج قمارش.

المصدر: المصدر: بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، المغرب، عام ١٩٩٥ م.

ج - قاعة البركة

تتقدم قاعة البركة بهو السفراء وتشرف على بهو الريحان بواسطة عقد مقرنص يكتنفه يميناً ويساراً طاقتان مجوفتان من الرخام معقودتان بعقد مفصص، ويحيط بكل طاقة إفريز مستطيل الشكل ينتهي طرفاه بعقد زخرفي مفصص وينحصر بداخله خمسة أبيات شعرية للوزير ابن زمرك مسجلة بالخط الثلث الأندلسي على مهاد من التوريقات النباتية وترجع تلك الزخارف والنقوش إلى عصر السلطان محمد الخامس. ويؤدي قاعة البركة ممر يؤدي إلى قاعة السفراء اندثرت نقوشه في الوقت الحاضر وقد كانت تزين عقود طاقاته وترجع إلى عصر السلطان محمد الخامس شكل (٣- ٢٦)، شكل (٣- ٢٧).



شكل (٣- ٢٦): نقش بالخط الكوفي المظفر بزين عقد المدخل إلى قاعة البركة.

شكل (٣- ٢٧): نقوش الأبيات التي تزين الطاقة اليسرى قاعة البركة.

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

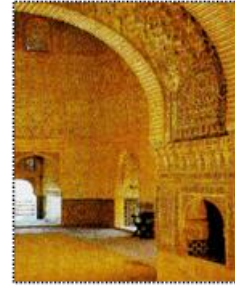
د- قاعة السفراء

تعتبر القاعة من أعظم مجالس قصر الحمراء من حيث الاتساع الفسيح وارتفاع القبة الشاهقة التي تعلوها وتخطيط القاعة مربع الشكل تبلغ مساحتها نحو ١٨ × ١١ م ٢م ويبلغ ارتفاع القبة ٢٣ متراً ويعلو القاعة برج ضخم مربع الشكل تتخلله فتحات ونوافذ عديدة للإضاءة والتهوية ويتوج البرج من أعلاه شرفات على شكل هرم ناقص على قاعدة مربعة الشكل (٢٥).

ويكتنف باطن عقد المدخل إلى القاعة على يمين ويسار الداخل طاقتان مجوفتان معقودتان بعقدين من العقود ثلاثية الفصوص ويدور بتربيعة كل منهما إزار كتابي منقوش بالخط النسخي يتضمن أبياتاً شعرية من ديوان الوزير لسان الدين ابن الخطيب في مدح السلطان يوسف الأول وذكر مأثورة والتغني بمنشأته وأعماله المعمارية، ويبلغ ارتفاع الإزار الكتابي لكل طاقة ١٥٦ سم وعرضه ٩٦ سم (٢٦) شكل (٣- ٢٨)، شكل (٣- ٢٩).

(25) عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، بيروت، عام ١٩٨١ م، ص ١٠٢

(26) Ettinghausen Y Grabar, Arte Y Arquitectura del Islam, Madrid, year 1991.



شكل (٣- ٢٩): نقوش الطاقية اليمنى واليسرى – المدخل إلى قاعة السفراء.

شكل (٣- ٢٨): نقوش عقد المدخل إلى قاعة السفراء.

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، ص ١٢١

٣-٣-٢ قصر الأسود

تتكون المجموعة المعمارية لقصر الأسود المعروفة في أشعار ابن زمرك بقصر الرياض السعيد من فناء رئيسي مستطيل الشكل تتوسطه نافورة تستند على إثني عشر أسداً ويتعامد عليها أربع قاعات رئيسية هي قاعة الأختين شمالاً وقاعة بني سراج جنوباً وقاعة الملوك شرقاً وقاعة المقرصنات غرباً، وتعتبر تلك المجموعة من أجمل قصور الحمراء نقشاً وزخرفة ومعماراً وتتكامل فيها الكتابات الشعرية مع النصوص والعبارات النثرية لتشكل مع العناصر المعمارية والزخرفية من أعمدة وعقود وقياب ومقرصنات نسيجاً زخرفياً ومعمارياً لا نظير له في تاريخ الفنون والعمارة. ويتقدم القاعات السابقة صفوف من العقود المقرنصة التي تطل على بهو الأسود وتستند على مجموعة من الأعمدة المتعددة التيجان والتي تتميز بالرشاقة والتوازن، وتتنحصر بين الزخارف النباتية التي تعلو تيجان وبدن الأعمدة بالخط الكوفي المظفر. والنقوش الشعرية التي تزين المجموعة المعمارية السابقة ترجع إلى عصر السلطان محمد الخامس وهي من نظم وزيره الشاعر أبي عبد الله بن زمرك وتعتبر خاتمة التطور الفني للنقوش الكوفية والليبية في قصر الحمراء التي وصلت إلى قمة الثراء الزخرفي في قاعة الأختين التي تعتبر تحفة معمارية وفنية خالدة.

أ- نقوش نافورة بهو الأسود

تتكون النافورة من اثني عشر أسداً من الرخام ويعلو بدنهما الذي يتكون من اثني عشر ضلعاً قصة منقوش في إطارها المضلع اثنا عشر بيتاً من الشعر بالخط الثلث الأندلسي داخل أفاريز مستطيلة الشكل تنتهي أطرافها بعقود زخرفية مفصصة (27).



شكل (٣- ٣١): نقوش الأبيات الشعرية التي تزين حوض نافورة بهو الأسود.

شكل (٣- ٣٠): رسم لنافورة بهو الأسود.

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

(27) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ١٣٧

٣-٣-٣ قصر البرطل

قصر البرطل من أقدم الأبنية بقصر الحمراء ويسمى بالبرطل لسقيفة تطل على بركة صناعية بخمسة عقود أوسطها أكثرها ارتفاعا ويرجع الفضل في إنشاء معظم مباني قصر البرطل إلى السلطان محمد الثالث بن الأحمر وقد تعرض القصر وملحقاته مثل برج السيدات للتجديد في عصر السلطان أبي الوليد إسماعيل، ثم تعرضت تلك القصور في عصور لاحقة لأعمال الإصلاح والترميم ويعتبر هذا القصر من أقل قصور الحمراء زخرفة بسبب عمليات الإصلاح العشوائي المتتالية التي أجريت عليه.



شكل (٣-٣٣) قصر البرطل



شكل (٣-٣٢) عقود قصر البرطل

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

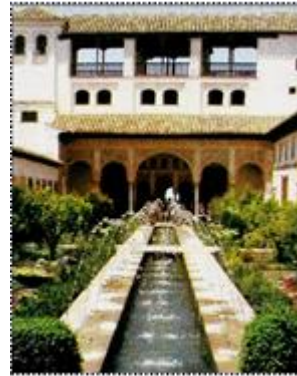
٣-٣-٤ قصر جنة العريف:

يقع قصر جنة العريف في الطرف الشمالي الشرقي من الحمراء فوق ربوة مستقلة عالية تشرف على الحمراء وكان يستخدم كمكان للاستجمام والراحة لسلطين وأمراء بنى الأحمر بعيداً عن ضوضاء القصور، وتحيط بقصور جنة العريف مجموعة من الأشجار والأزهار والورود الباسقة من كل نوع وشكل وقد تم إعدادها على شكل ممرات وجدران من الأشجار والخمائل، ويتوسط القصر بهو مستطيل الشكل يعرف بهو الساقية لتوسطه بركة من المياه مستطيلة تصب فيها وتتقاطع نافورات المياه من على الجانبين.

ويحف بهو الساقية رواقان طويلان تتحصر بداخلهما ممرات جانبية وبائكات من العقود المتنوعة الأشكال والأحجام من نصف دائرية ومفصصة ومقرنصة، أما الجزء السكنى من القصر فيتصدر الجزء الشمالي من بهو الساقية ويطل عليه بواسطة بائكة تتكون من خمسة عقود نصف دائرية أوسطها أكثرها ارتفاعاً، يليها رواق تتوسطه بائكة أخرى تتكون من ثلاثة عقود تحيط بها أفاريز مستطيلة الشكل ينحصر بداخلها أبيات من قصيدة لابن الجياب منقوشة بالخط الثلثي الأندلسي تصف روعة القصر وجمالة (٢٨).



شكل (٣-٣٥): منظور لقصر جنة العريف.



شكل (٣-٣٤): عقود بهو الساقية - قصر جنة العريف.

المصدر: قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية.

(28) محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م، ص ١٦٤

٤. النتائج

- تميز قصر الحمراء بتطبيق عناصر الإبداع المعماري حيث تجلّى الإبداع في تصميم الفراغات المعمارية للقصر من خلال تحقيق الإبداع المادي بشقية الإبداع الإنشائي والإبداع المادي الحسي للفراغات. حيث تم الاعتماد على مواد البناء الطبيعية في إنشاء القصر بالإضافة إلى الاعتماد على فكر إنشائي ساعد على بقاء القصر حتى الآن ومقاومة عوامل التعرية بالإضافة إلى الاعتماد على الوحدات المديولية الثابتة في تصميم الحمراء والتي راعت الخلفية الحضارية للعمارة الإسلامية في الأندلس. حيث تجلّت صورة الحضارة المعمارية الإسلامية على جدران الحمراء والتي ازدهرت نتيجة لهجرة البنائين والفنانين إليها من جميع المدن الإسلامية الإسبانية بعد سقوط الدولة الأموية ونشأت دويلات الطوائف وبداية الزحف المسيحي على تلك الدويلات وسقوط العديد منها مما أدى إلى هرب علماء الإسلام إلى مدينة غرناطة والمساهمة في إنشاء تلك الحضارة العظيمة.
- تميزت جدران الحمراء بالإبداع الفني من خلال دراسة للنقوش والكتابات على جدران الحمراء والتي تحكى حضارة بنى الأحمر إبان فترة حكم مملكة غرناطة حيث حوت العديد من أبيات الشعر والأبيات القرآنية بالإضافة إلى شعار مملكة غرناطة (لا غالب إلا الله) وبعض النعوت والألقاب الملكية حيث عمد الفنان الغرناطي إلى استخدام الألوان ومواد النقش الجصية في تزيين جدران الحمراء فبرع في إظهار القيم الجمالية وما يتبعها من انعكاس في نفس مستخدم الفراغ فكان القصر تعبير عن عظمة الحضارة الإسلامية في مملكة الحمراء.
- تميزت قاعات القصر والأبراج بالإبداع الفكري في التصميم فعند تصميم يوسف الأول لقاعة السفراء اهتم بإنشاء قاعة ضخمة تطل بفتحات على حي البيازين بغرناطة مما يضفي العظمة على عرش الملك، بالإضافة إلى الأفكار الأخرى المتبعة في تصميم القاعات والأبهاء فنرى مدى الإبداع في تصميم بهو الأسود وكيفية استخدام عنصر المياه كعنصر متحرك في ربط فراغات القصر. حيث تناولت الدراسة من خلال الدراسة الوصفية للقاعات والأبهاء داخل قصر الحمراء ما وصلت إليه حضارة الحمراء من تقدم في ذلك العصر.

٥. المراجع

الكتب والرسائل العلمية:

- ١- ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، قصور الحمراء، ٤ أجزاء، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، عام ١٩٧٧ م.
- ٢- محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء، ديوان العمارة والنقوش العربية، مكتبة الإسكندرية، عام ٢٠٠٤ م.
- ٣- محمد عبد العزيز، الخط العربي في الأندلس وتطوره، رسالة دكتوراه، الإسكندرية، عام ١٩٨١ م.
- ٤- عبد الهادي التازي، الحروف المنقوشة بالقرويين في خدمة الآثار، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، القاهرة، عام ١٩٦٦ م.
- ٥- محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام ١٩٩٣ م.
- ٦- عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، الكويت، عام ١٩٧٧ م.
- ٧- أ.د. علي رأفت، ثلاثية الإبداع المعماري، مركز أبحاث إنتركونسلت، الجيزة، ١٩٩٨ م.
- ٨- دراسة تحليلية ومقارنة للفراغات المعمارية في العمارة الأندلسية، أسامة محمد محمد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٩٠ م.
- ٩- العمارة الأندلسية (عمارة المياه)، ترجمة د. علي إبراهيم علي منوفي، تأليف باسيليو بابون مالدونادو، الإصدار الثالث ٢٠٠٥ م، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- ١٠- حسن الباشا، الفنون الإسلامية، الجزء الثالث، ٢٠٠٠ م.
- ١١- بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، المغرب، عام ١٩٩٥ م.

- 1- year 1981, Murphy, Arabian Antiquities of Spain, the Alhambra, London.
- 2- Antonio Almagro Corbia, Arquitectura en el Andalus, Madrid, year 1995.
- 3- Ettinghausen Y Grabar, Arte Y Arquitectura del Islam, Madrid,

Study of the architectural elements of creativity in the design vocabulary of Islamic architecture of El hamraa palace (Kingdom of Bani El Ahmar)

abstract

The research deals with a study of the vocabulary of architectural creativity in the design of the Alhambra Palace, tracing the elements of architectural creativity in the design and implementation of the Alhambra Palace, a study of the halls and towers within the Alhambra, in addition to a study of the inscriptions that tell the civilization of Andalusia, which were created by the Andalusian artist on the walls of the Alhambra, which remain until our time witness to the greatness of Islamic civilization in Andalusia.

The main proposal of the research is a study of the elements of architectural creativity used in the design and construction of the Alhambra Palace in the Kingdom of Granada in Andalusia.

Where the research deals with:

- Studying the elements of material creativity from the structural thought used in constructing the palace and the building materials used, in addition to a study of the material and sensory creativity used in designing the spaces inside the palace.
- Material creativity using the water element in the palace and how to use the water element in linking the internal and external spaces and the use of water for living purposes inside Alhambra Palace.
- A study of the module units used in the design of the Alhambra Palace.
- A study of artistic creativity represented in the decorative elements and the aesthetic and artistic values of the inscriptions of Al-Hamra walls, in addition to a study of the colours and artistic and aesthetic values.
- A study of intellectual creativity represented in a descriptive study of the design of halls, and towers in the Alhambra Palace.

Key words: Islamic architecture in Andalusia - Architectural creativity - Alhambra Palace Palace